
أسياد الظل
رواية
نهى

أسياد الظل

رواية

نهى.ش

إهداء

إلى أولئك الذين لا يصدقون كل ما يُقال...
ولا يرفضون كل ما يُقال...
بل يُفكرون.
إلى من يملكون شجاعة النظر في الممنوع...
وألم الشك...
ومتعة التساؤل.
هذه الرواية لكم.

الفهرس

المقدمة:

هذه الرواية ليست تاريخًا، ولا علمًا، ولا خيالا.

ولكن كل ما فيها... كان يمكن أن يحدث.

وقد حدث.

أو يحدث الآن.

إذا كنت ممّن يفضلون النوم الهادئ على الوسادة، فربما عليك التراجع.

أما إذا كنت تبحث عن إجابات، فلتعلم أن كل إجابة تفتح سؤالًا جديدًا...

وأنك إذا بدأت القراءة، فلن تعود كما كنت.

فكّر... فقط فكّر.

ولا تُسلّم عقلك لهم.

الفصل الأول – أنت تبحث... أليس كذلك؟

لا أعرف كيف وصلت إلى هذا الكتاب،

ربما بالصدفة...

وربما لأنك من أولئك الذين تنام عيونهم ولا تنام عقولهم

أنت من الذين يشكّون في كل شيء، حتى من الشكّ نفسه.

لكن، قبل أن تواصل القراءة، دعني أكون صادقة معك:

هذه ليست قصة ممتعة.

لا أبطال خارقين، لا نهايات سعيدة، لا امرأة فاتنة تُغريك، ولا بطل ينتصر.

لا خير... لا شر...

فقط أنت... وهم.

هم؟

نعم... الذين لا تراهم، لكنك تعلم بوجودهم.

تشعر بظلهم خلف ظهرك، ولو لم تلتفت.

هم من يُحرّكون الأصابع خلف الستار، ويكتبون التاريخ قبل أن يُروى.

هم من أنشأوا العالم كما تراه...

وقالوا لك: هذا هو الواقع.

لا تخبر أحدًا أنك تقرأ هذا...

ولا تحاول أن تبحث عني.

لأنك إن فعلت، فلن تعود كما كنت.

الآن... إن كنت مصرًّا على المواصلة،

فخذ نفسًا عميقًا...

وادخل معي إلى عالم الظلام والمؤامرات.

إلى عالم لا ينام فيه الضوء، ولا يصحو فيه الحق،

عالم... أسياد الظل.

الفصل الثاني: الشك.

كما كل صباح، وبدون منبّه، وبدون سببٍ خاص، فقط كما اعتادت أن تبدأ يومها قبل أن تصحو المدينة. كأنها تريد أن تسبق الزمن بخطوة... أو أن تهرب منه.

استيقظت ابتسام.

المدينة كان نصفها نائمًا، والنصف الآخر متأهبًا لخوض معركة الحياة.

ركبت الحافلة بصمت، وضعت سماعتها في أذنها، والركاب حولها: من يضحك، ومن يتحدث، ومن يقرأ الجريدة... بينما كانت هي تنظر من النافذة إلى لا شيء.

وصلت إلى مقر الجريدة قبل موعدها بنصف ساعة. المبنى قديم الطراز، من الطوب الأحمر، وتنبعث منه رائحة ورق وملفات منسيّة من زمن آخر.

دخلت كعادتها، حيّت زملاءها بإيماءة سريعة، وجلست إلى مكتبها الخشبي الصغير. فتحت حاسوبها، وبدأت تتصفح الأخبار المعتادة، المتكررة، كأن العالم ساكن، لا يبالي ولا يتحرك.

غزّة... آه يا غزّة: قتل، دمار، تجويع، تهجير.

السودان: سيطرت ميليشيات وقتل أبرياء.

سوريا: دخول "الجيش الحر" وتحرير دمشق.

سيناريوهات تتكرر يوميًا، وحكّام يتفرجون، وجيوش منهزمة نفسيًا.

لا شيء يوحي بالراحة أو السكينة... والمستقبل مظلم.

—— "ابتسام، تعالي فورًا!"

كان صوت مدير التحرير جافًّا كعادته.

—— "صباح الخير، سيدي."

أشار بأصبعه إلى الجريدة أمامه، وقال:

— "اقرئي الخبر الذي في الهامش."

مدّت يدها إلى الجريدة ببطء.

انتحار أيوب كامل بجرعة زائدة، والجنازة بعد الظهر.

"أيوب كامل... أيوب كامل... سمعت هذا الاسم من قبل..."

قاطعها:

— "كان صحافيًا ناجحًا ومثابرًا، لكنه متهور. أدخل أنفه في أمور أكبر منه. اذهبي إلى الجنازة وتقصّي الحقيقة. هناك من يقول إنه اغتيل."

نظرت إليه متعجبة، وقبل أن تسأل، قال:

— "كان في الفترة الأخيرة يُكثر الحديث عن المؤامرات... عن جزيرة إبستين، والبستان البوهيمي. وكان يملك وثائق تتعلق ببروتوكولات حكماء صهيون، وأعاد أسرار جورجيا الغامضة إلى العلن."

— "ومن يملك هذه الأحجار؟" سألت بدهشة.

ضحك ضحكة قصيرة بلا روح، وقال:

— "بالضبط، لا أحد يعرف. لكنهم تركوا وراءهم وصايا... لعالم لا يشبه عالمنا."

— "وما المطلوب مني؟"

نظر إليها بنظرة حادة، وأجاب:

— "أكملي عمله. لكن بحذر، بدون تهور."

— "لكن... لا أعرف أحدًا في..."

—— "ستلتقين هناك بالبروفيسور مايلز، سيساعدك. إنه صديق أيوب كامل."

الفصل الثالث: الحجارة تهمس

خرجت ابتسام من المكتب وهي تشعر أن الهواء صار أثقل، كأن شيئًا غير مرئي يضغط على صدرها، لكنها لم تكن تعلم أن هذه الرحلة ستغير كل ما تعرفه وكل ما تؤمن به. خطواتها كانت بطيئة، لكنها حاسمة. توجهت إلى مكتبها وأخذت حقيبتها ودفتر ملاحظاتها، ومن ثم انطلقت نحو المجهول.

وصلت بسيارة أجرة إلى بيت أيوب كامل في أحد الأحياء الهادئة. بناية قديمة من ثلاثة طوابق، بلا كاميرات ولا حراس... تمامًا كما يحب الصحفيون المحترفون أن يختبئوا خلف الصمت.

دخلت إلى غرفة الاستقبال، المكان كان مشحونًا بالحزن والحيرة. جلست في زاوية لا تعرف أحدًا، لكن عينيها ممسحتان الوجوه بحثًا عن شيء مألوف... شخص ربما ستعرفه من أول نظرة، حتى لو لم تراه من قبل. حدسها الصحفي قادها.

وجدته. كان يقف بثبات، لكن وجهه مشدود بالحزن والغضب. رجل في الخمسينات، يرتدي بدلة أنيقة، نظراته شاردة نحو التابوت.

اقتربت منه بتردد وهمست: — بروفيسور مايلز؟

التفت إليها ببطء، نظر إليها مباشرة، وابتسم ابتسامة باهتة لكنها صادقة: — لا بد أنكِ ابتسام... كنت أتوقع حضورك.

— السيد مروان أخبرني عن مجيئك، أجابت.

— نعم، مدير التحرير طبعًا،

قال بهدوء.

أشار نحو الباب وقال:

– لا أظن أن هذا المكان مناسبًا للحديث. هل ترافقيني إلى مكان أكثر هدوء ؟

هزت رأسها موافقة واتجها معًا نحو الخارج.

جلسا في زاوية معزولة بمقهى صغير، جدرانه مكسوة بصور مايكل جاكسون. أغنية بوب له تنساب من مذياع قديم، تبث في الجو دفءً مشبوهًا وريبة خفية.

رفعت ابتسام نظرها نحو مايلز، ووجدت عينيه تراقبها بحذر:

– هل تعتقد أنه انتحر؟ سألت.

– لا، أجاب دون تردد. أيوب لم يكن من النوع الذي يهرب من المعركة... كان من النوع الذي يعرف أكثر مما ينبغي.

هزّت رأسها، ثم قالت وهي تنظر إلى صور مايكل على الحائط:

– ومايكل... خير دليل على المؤامرة والاغتيال. من يخرج عن الخط المرسوم... يخرج من الحياة.

قبل أن يغادر، أخرج مايلز ملفًا أسود صغيرًا وناوله لها: مكتوب عليه: "الأحجار تهمس – أيوب كامل".

ودّعها قائلاً بصوت أخير: – الأحجار المكسورة... أزالت الستار.

الفصل الرابع: الصدع

لكن الملف لم يكن مجرد أوراق مكتوبة...

بل يحمل في طياته تحذيرات، وإنذارات باقتراب كارثة، لا تمس فردًا، بل تهدد البشرية كلها.

وبينما كانت تتصفح الصفحات بخليط من الحذر والفضول، سقطت من بين الأوراق ورقة صغيرة، مطوية بعناية. التقطتها بهدوء، كأنها تمسك شيئًا حيًّا، وفتحتها ببطء.

كان مكتوبًا عليها بقلم رصاص باهت، بخط مرتجف:

الوصايا ليست مجرد كلمات منحوتة على حجر...

بل خطة. خطة مدروسة، ومتقنة، وبدأ تنفيذها."

شعرت بشيء يتقلّب في صدرها. أخذت نفسًا عميقًا، ونهضت من السرير وكأن شيئًا بداخلها أُيقظ فجأة.

اتجهت نحو مكتبها، جلست أمام حاسوبها المحمول، وبدأت في البحث.

كانت أصابعها تنقر على لوحة المفاتيح بسرعة وكأنها تطلق طلقات نارية. لم تكن تعرف ما الذي تبحث عنه تمامًا، لكنها كانت تشعر أن الوقت يضيق.

نقرت في محرك البحث: "أحجار جورجيا"

بدأت تقرأ:

"نصب تذكاري من الجرانيت تم تشييده سنة 1980 في ولاية جورجيا، بطلب من شخص مجهول استخدم اسمًا مستعارًا: روبرت كريستيان.

دفع هذا الشخص وحده كافة التكاليف، دون أن يُعرف هويته الحقيقية إلى اليوم.

يتكون النصب من أربعة ألواح رئيسية، وسقف، وحجر مركزي.

كُتبت عليه عشر وصايا بلغات مختلفة، بينها الإنجليزية، العربية، السواحيلية، الصينية، والعبرية..."

توقفت عينها عند الجملة التالية:

"النقش العاشر... كان الأكثر غموضًا..."

الفصل الخامس: سقطت الأحجار...وبقية الوصايا.

1-1 الوصية الأولى – حافظوا على البشرية تحت 500 مليون نسمة

وقفت تحدق في العبارة... لم تكن مجرد دعوة، بل أمرٌ واجب التنفيذ.

من قرر هذه النسبة؟

من منح نفسه حق إملاء مصير مليارات البشر؟

كانت تلك الحجارة تُسمّى في الظاهر "نُصُب توجيه"، لكنها في الحقيقة كانت نُصُب إبادة.

ساد صمت داخلي، كأن الكون يحبس أنفاسه في انتظار السؤال الذي لم يجرؤ أحد على طرحه:

"هل أنا وأنت من الباقين، أم من الزائلين؟"

حافظوا على البشرية تحت هذا العدد... لكن كيف؟

بالمرض؟

بالعلاج؟

عادت بي الذاكرة إلى عام 2019... إلى كورونا، إلى كوفيد-19.

حينما، فرضت التلقيحات بالإجبار.

ومن غير ذلك الرجل الذي أنفق المليارات — لا ليُطعم الجياع، بل ليحقن الأحياء؟

كان يدّعي أنه خائف علينا... لكن الحقيقة؟

نحن من يجب أن نخاف منه.

ما يحدث الآن في غزة... أليست إبادة جماعية؟

ألم يُوصفوا بـ"الحيوانات البشرية"؟

السودان، سوريا، الحروب الأهلية في إفريقيا...

أليسوا هم من يمدّون الإرهابيين بالسلاح؟

أليسوا هم من يصنعون المرتزقة؟

حتى الهويات صارت تُبدّل.

لم نعد نُولد ذكرًا أو أنثى، بل أصبحنا "الآخر"،

كائنًا غريبًا تُحدده شاشاتهم، لا أجسادنا.

ما كان محرّمًا بالأمس، أصبح اليوم فرضًا عليك أن تقبله.

عالم الألوان الزائفة، الذي رفع شعار الحب المسموم تحت قوس قزح،

أصبح يُملي عليك من تكون... ومن يجب أن تكون.

2-1 الوصية الثانية: وجهوا التكاثر بحكمة... لتحسين اللياقة والتنوع

هذه الوصية وحدها تولّد تصاعدًا مرعبًا في النبرة، وكأن هناك عالمِا مجنونًا أو نظامًا خفيًّا يكتب دستورًا لما بعد البشرية.

لم تكن الجملة التالية أقلّ برودًا:

«وجّه التكاثر بحكمة... لتحسين اللياقة والتنوع.»

لا، لم تكن دعوة للتفكير... بل كانت نفيًا صامتًا لكل ما هو طبيعي.

لم يعد للغريزة مكان،

ولا للحب معنى،

ولا للصدفة حقّ في الوجود.

من قال إن التنوع يحتاج إدارة؟

ومن قرر أن "اللياقة" يجب أن تُقاس؟

هل صار البشر مشروعًا تجريبيًا؟

هل صرنا سلالات تُنتقى في مختبر ضخم لا نعرف من يديره؟

"التكاثر بحكمة"...

لا، ليس ذلك من الحكمة في شيء.

إنها مذبحة مؤجّلة... تبدأ بالفرز، وتنتهي بالإلغاء.

ما ظنناه تقدمًا... قد لا يكون سوى تطهيرٍ بارد تحت غطاء "التوازن".

وكأن الحياة، بكل عبثها وحنانها، لم تعد تُطاق في عيون من نصبوا أنفسهم آلهة.

3-1 الوصية الثالثة: وحدو البشرية بلغة عالمية واحدة.

ابتسمت ابتسامة خفيفة وهي تقرأ الوصية الثالثة.

إنها تأخذنا خطوة أعمق نحو الديستوبيا ليست فقط أوامر... بل هندسة شاملة للبشرية، للسانها، لهويتها.

«وحِّدوا البشرية بلغة عالمية واحدة.»

لا، لم تكن اللغة جسرًا هنا... بل قيدًا.

حين يُختصر الكون في لسانٍ واحد، تُمحى الحكايات. تُطمَس اللهجات التي كانت تنبض بالحياة في الزقاق، في الأغاني، في الأمهات اللواتي لم يعرفن النحو... لكنهنّ صَنعن اللغة من الحنان.

ماذا يتبقّى إذا تكلّم الجميع النسخة ذاتها؟

لا جدال، لا اختلاف، لا سوء فهم، لا فكاهة، لا شعر حقيقي.

لا مجال لأن تقول: "أنا مختلف"، لأن الاختلاف لا يُترجَم في قاموس موحّد.

إنها ليست وحدة، بل مَسخ.

خلف قناع "لغة واحدة" يقف نظام لا يريد أن يُفهَم... بل أن يُطاع.

فحين تُلغى اللغات، تُلغى الذكريات.

ومتى ما نُسيت الذاكرة... صار التحكم في المستقبل مسألة وقت لا أكثر.

4-1 الوصية الرابعة: تحكموا الشغف – الإيمان – التقاليد – وجميع الأشياء باعتدال

رائع...

قالت ابتسام لنفسها، وهي تتأمل الوصية الرابعة.

إنها تزداد ظلمة... فهي تمسّ ما يُفترض أنه جوهر الإنسان: عاطفته، إيمانه، ذاكرته الجمعية.

وحين تُختزل هذه في كلمة واحدة: "تحكّم"... فأنت لا تُهذّب الإنسان، بل تعيد برمجته.

«تحكّم في العاطفة – الإيمان – التقاليد.»

كانت الوصية الرابعة الأشد قسوة.

لم يُطلب ضبطها، أو تهذيبها... بل السيطرة الكاملة.

كأن المشاعر خطرٌ يجب تكميمه، والإيمان مرضٌ يجب تقنينه، والتقاليد فيروسٌ يستدعي العزل.

لكنها وقفت هناك، تتساءل...

من الذي يملك أداة "التحكّم"؟

ومن الذي سيحدد أيّ عاطفة تُقمع، وأيّ إيمان يُسمح له بالبقاء؟

هل الحزن ممنوع لأنه يعطّل الإنتاج؟

هل الحب يُجرَّم لأنه يهدّد المخطط السكاني؟

وهل الإيمان يُعاد تعريفه ليخدم النظام لا الإنسان؟

وهل الديانة الإبراهيمية اول طريق لتحقيق الدين الواحد؟

تنهدت ابتسام وهمست:

– هل يريدوننا آلات؟

لا تحزن... لا تغضب... لا تعتقد بما لا نقرّه... لا تتذكّر من أنت...

كانت ترى في هذه الوصايا موتًا بطيئًا، يُسوّق على أنه نجاة.

ثم نظرت إلى الجملة مرة أخرى... وسألت نفسها:

– وهل يمكن أن "تتحكم" في العاطفة... دون أن تفقد إنسانيتك؟

في محاولة لحمايتنا من الفوضى... قد يُطفئون كل شرارة،

كل ما يدلّ على أننا... بشر.

1-5 الوصية الخامسة: احكموا الشعوب باستخدام قوانين عادلة... ومحكمة واحدة.

تمثّل ما يبدو ظاهريًا عادلًا ومنطقيًا... لكن، في سياق ما سبق، تتكشّف كغطاء آخر للسيطرة:

"قوانين عادلة" حسب مَن؟ ومحكمة واحدة تحت سلطة مَن؟

«احكموا الشعوب باستخدام قوانين عادلة... ومحكمة واحدة.»

بدت الجملة، لأول وهلة، ناعمة... كأنها وعدٌ بالنظام والعدالة.

لكن ابتسام قرأتها بعين مختلفة.

أيّ قانون يُسمّى عادلًا حين يُفرض من فوق، لا ينبع من الناس؟

وكيف تكون "محكمة واحدة" رمزًا للإنصاف، وهي وحدها التي تملك النطق بالحكم، دون مراجعة أو استئناف؟

– لا توجد عدالة في مركز واحد...

همست لنفسها.

لأن العدالة الحقيقية ليست في وحدة المنصة، بل في تنوّع الأصوات.

"محكمة واحدة" قد تعني قاضيًا واحدًا... عقلًا واحدًا... إرادة واحدة...

وما أشبهها بلوحٍ آخر، لا يُنطق فيه بالحقيقة، بل يُسجَّل الحُكم قبل أن تبدأ المحاكمة.

شيءٌ ما في هذه الجملة أرعبها أكثر من سابِقاتها.

لأن الطغيان لا يبدأ من البندقية... بل من قانونٍ كُتب ليبدو نزيهة

1-6 الوصية السادسة: دعوا كل دولة تحكم داخليًا وتحل النزاعات الخارجية في محكمة عالمية

كأنها تقدم تنازلات "محلية" مقابل إحكام السيطرة على الصراعات الكبرى من خلال جهة عالمية... لكن حين تتكشّف النوايا، تصبح هذه "المحكمة العالمية" أداة لشلّ إرادة الشعوب باسم السلم.

بدا الأمر وكأنه توازن مثالي بين السيادة المحلية والرقابة العالمية...

لكن الصياغة كانت تنذر بشيء خفي... لم تطمئن له ابتسام.

من الذي أنشأ هذه المحكمة العالمية؟ ومن الذي يعيّن قضاتها؟

وهل يُمكن لأمة أن تُحكم نفسها فعلًا، بينما رقبتها مربوطة بخيط المحكمة العليا؟

– كأنهم يسمحون لك بالركض داخل حلبة... لكن لا تجرؤ أن تخرج منها.

همست وهي تمرر يدها على شعرها، تشعر بثقلٍ يتسلل من بين الكلمات

هذه ليست وصايا... بل عقد.

عقد لا يوقعه أحد، لكنه يُفرض على الجميع.

"محكمة عالمية لحل النزاعات"...

تبدو نبيلة، لكنها قد تتحول إلى صك إذعان،

حين تُقاس العدالة بظاهر الخصومة... لا بميزان القوة الحقيقي.

شعرت أن الفكرة كلها تشبه لعبة شطرنج...

الملك فيها معروف. والبيادق

أنا وأنت

7-1 الوصية السابعة: تجنبوا القوانين التافهة والمسؤولين عديمي الفائدة

وهنا يتجلّى التحقير لا الإصلاح. وصية تفتح الباب لسلطة تتذرّع بالكفاءة لتقصي الضعفاء، ولتُفرغ الدولة من الإنسان وتملأها بالفعالية فقط.

«تجنّبوا القوانين التافهة والموظفين عديمي النفع.»

هذه لم تكن وصية... بل صفعة.

قوانين تافهة؟ من يحدد تفاهتها؟

الموظفون عديمو النفع؟ أي نفع يقصدون؟ النفع الربحي؟ الإنتاجي؟ أم فقط أولئك القادرين على تنفيذ الأوامر دون نقاش؟

– هل يريدون دولة... أم مصنعًا؟

تساءلت ابتسام وهي تحدّق في الكلمات، تشعر بأنها سُرقت من دليل إداري لا من نُصُب يُفترض أنه خالد.

بدا المشهد أمامها أكثر وضوحًا:

كل وصية لا تنبع من حب... بل من تصميم. تصميم بارد، محايد ظاهريًا، لكن خلفه عين ترى البشر كأرقام... وتقصي من لا "يؤدّي وظيفته".

لكن مهلاً...

"قوانين تافهة"...

ماذا لو كانت القوانين التافهة هي بالضبط ما يمنع الأنظمة من الانزلاق إلى الجحيم؟

تلك التي تحمي التفاصيل الصغيرة، وتحفظ كرامة المهمشين؟

ساد صمت داخلي، ثم تمتمت ابتسام:

– كلما بدت الوصايا أكثر عقلانية... شعرت أنها أقل إنسانية.

8-1 الوصية الثامنة: وازنوا بين الحقوق الشخصية والواجبات الاجتماعية

تأملت جيدا في، الوصية الثامنة ثم قالت بصوت مرتفع هذه الوصية خادعة تماما تأتي بلغة ناعمة وذكية... كأنها معجونة من منطق العصر: الحقوق، الواجبات، التوازن. لكن خلف هذه

الكلمات الملساء، تكمن معادلة هشّة: حين تكون الجهة التي "تُحدّد" التوازن مجهولة... فمن حقها أن تُرجّح الكفة متى شاءت.

«وازنوا بين الحقوق الشخصية والواجبات الاجتماعية.»

كانت الوصية الأكثر خداعًا حتى الآن.

الكلمات مُطمئنة... التوازن، الحقوق، الواجبات. من قد يعترض على ذلك

لكنها شعرت بشيء مألوف...

التوازن حين يُفرض من جهة عليا، لا يكون عدلًا... بل نوعًا من الرقابة المقنّعة.

– مَن الذي يقرر إن كنت قد تجاوزت "حقك"؟

تمتمت ابتسام وهي تتراجع خطوة للخلف.

ماذا لو اعتُبر اعتراضها واجبًا ناقصًا؟

أو صمتها تقصيرًا في الدور الاجتماعي؟

إنها ليست دعوة للتناغم... بل تسوية ذكية، تُبرّر التضحية بالخصوصية تحت لافتة "المصلحة العامة".

ثم لمعت في ذهنها عبارة سمعتها من مايلز

حين يُطلب منك أن "تتوازن"، غالبًا ما يعني أن تتنازل...

نظرت إلى الوصية، وعبست.

فعلا الشيطان يسكن في التفاصيل

9-1 الوصية التاسعة: قيّموا الحقيقة، الجَمال، والحُب، بسعيكم الأبدي نحو الانسجام.

كلمات الوصية بدت كأنها آخر محاولة للتجميل... قرأتها ابتسام ببطء، ثم توقفت.

لأول مرة، شعرت أن الحجر يسخر منها.

"مجّدوا الحقيقة"...

بعد أن طالبوها بالتنازل عنها من أجل "التوازن".

"مجّدوا الجَمال"...

بعدما قسّموا الناس إلى نافع وعديم النفع.

"مجّدوا الحُب"...

وهم الذين أمروا بالتحكم في العاطفة، كأن الحب وباء يجب عزله.

– واللانهاية؟

تمتمت بسخرية جافة.

أي "لانهاية" يقصدون؟

هل يقصدون مستقبلًا بلا أعلام، بلا لغات، بلا إيمان، بلا ذاكرة؟

أم يقصدون نظامًا لا ينتهي... لأن لا أحد يجرؤ على الخروج منه؟

كانت الوصية كمن يرشّ العطر فوق جثة لا تزال تنزف.

هناك كلمات لا ينبغي أن تُقال... إلا إذا كان من يقولها يعرف ما تعني.

قالت ابتسام بغضب:

– هنا يبلغ النفاق ذروته. بعد وصايا التحكم، والقمع، والإقصاء... تأتي دعوة رومانسية، تجمّل الوجه القبيح لمن يفرض تلك الوصايا.

1-10 الوصية العاشرة: لا تكونوا سرطانًا على الأرض...افسحوا مكانًا للطبيعة ...افسحوا مكانًا للطبيعة.

قرأتها بتمعن، ثم قالت:

تكرار الجملة الأخيرة لم يكن عبثًا...

كأنه تحذير، أو تهديد، أو حتى أمر بالإخلاء.

هذه ليست دعوة بيئية... بل إدانة ضمنية للبشر،

كأن وجودهم ذاته صار مشكلة ينبغي "معالجتها".

لم تكن وصية... بل حُكم إعدامٍ مكتوب بنبرة شاعرية.

مرّتين؟

كأنهم يقولون: لم تفهموا؟ ... سنكررها.

كانت ابتسام تحدّق في الكلمات، تشعر بأن الحجر لم يُكتب ليُنذر فقط... بل ليُنفّذ.

– "سرطان"...

تمتمت وهي تعيد قراءة الكلمة.

كلمة لا تُقال عن كائن يُرجى إصلاحه... بل عن مرض يجب استئصاله.

من الذي قرر أن البشر سرطان؟

ومن نصب نفسه طبيبًا لهذا الكوكب؟

وماذا تعني "افسحوا مكانًا"؟

أن نتراجع؟ أن ننقرض؟ أن نُباد بصمت؟

كانت الوصية العاشرة أصدقهم نوايا... وأشدهم قسوة.

كل ما سبقها من كلمات ناعمة وعبارات متزنة

لم يكن سوى تهيئة نفسية لحكم الإعدام الأخير.

"افسحوا مكانًا..."

كأن الأرض لم تعد لنا.

وكأنهم ينصبون أنفسهم آلهة،

يمسكون بالقلم... ويكتبون لنا عالمًا جديدًا، بقوانينهم.

الفصل السادس: الحقيقة تدفن... لكنها لا تموت

ما إن فرغت من قراءة الوصية الأخيرة، حتى أسرعت إلى هاتفها واتصلت بمايلز، وحددت له موعدًا في القناة.

كان اللقاء مقررًا في تمام الساعة الثامنة مساءً.

قالت له ابتسام، بصوتها الهادئ:

"لن نسكت بعد اليوم. سنضع الوصايا أمام الناس، سطرًا بسطر، ونكشف ما خُبئ في الحجارة... وفي العقول."

لم يكن مايلز مترددًا. لكنه كان قلقًا.

"هل تعلمين ماذا يعني ذلك؟" سألها بصوت خافت.

"أعلم،" أجابت. "وأعرف أيضًا أن الصمت صار خيانة."

دخلت ابتسام إلى الاستوديو.

المخرج جهّز البث، والإضاءة سُلطت على الكرسيَّين... وابتسام كانت تنتظر وصول مايلز.

في تمام الساعة 07:47 مساءً، خارج مبنى القناة...

سُمع صوت ارتطام عنيف وصرير عجلات.

سيارة سوداء، بلا أرقام، انطلقت نحوه بسرعة لا تُصدق، صدمته وألقته أرضًا، ثم اختفت كما ظهرت: صمت، سرعة، وعدم وجود شهود.

أما ابتسام... فلم تُشاهد بعد تلك اللحظة.

لم تغادر مبنى القناة.

كاميرات المراقبة لم تسجّل خروجًا.

مكتبها ظلّ كما هو.

كوب القهوة لا يزال دافئًا.

والميكروفون الذي كانت سترتديه، وُضع فوق الورق المفتوح على الصفحة الأخيرة من ملف أحجار جورجيا.

عليها، بخط يدها:

"الحقيقة قد تُدفن... لكنها لا تموت."

تحوّل اللقاء إلى خبر عاجل:

"وفاة مفاجئة للبروفيسور مايلز إثر حادث سير خارج قناة الحرية... والمذيعة ابتسام في عداد المفقودين."

لكن بعض من شاهدوا البثّ التجريبي لاحقًا،

أقسموا أنهم سمعوا صوتًا خافتًا في الخلفية...

كأن أحدًا همس عبر التردد:

الوصايا ليست بداية... بل نتيجة.

من كتبوها لا يبحثون عن نظام... بل عن طاعة."

من قال ذلك؟

هل كانت ابتسام؟

هل سجّلت شيئًا لم يُعرض بعد؟

هل كانت هناك وصية "رقم 11" لم تُنقش على الحجر... بل تُنقش الآن في الواقع؟

لا أحد يعرف.

لكن المؤكّد أن الحجارة ما زالت هناك،

رغم تفجيرها...

وأن الأسئلة بدأت الآن فقط.

النهاية

الخاتمة:

لم تكن "الوصايا" مجرد نقوش حجرية.

كانت إعلان حرب على الإنسان...

على فطرته، على حريته، على روحه.

كل وصية لم تكن توصية... بل أمرًا موجهًا لعالم يُراد تشكيله من جديد:

عالمٌ لا يُولد فيه الإنسان إلا مرخصًا

ولا يتكلم فيه إلا بما تقرره هيئة اللغة الموحدة

ولا يحب، ولا يهاجر، ولا يُعالج، ولا يُنجب إلا بإذن من "السادة".

لقد تهاوت الأحجار

لكن ما كتب يتحقق

فهل كانت هي من وجدت الحقيقة،

أم أن الحقيقة هي التي وجدتها؟

أحيانًا، يكون الغموض أكثر صدقًا من الأجوبة.

وأحيانًا، يكون الصمت أبلغ من كل صرخات التحذير.

في عالمٍ يُدار من خلف الستار،

ويباع فيه كل شيء... حتى الحقيقة،

فما الذي يتبقى؟

أسياد الظل – رواية عربية فلسفية ديستوبية

حين انفجر أحد ألواح أحجار جورجيا الغامضة فجر السادس من يوليو 2022، ظنّ الجميع أنه حادث...
لكن الصحفية "ابتسام" كانت تعرف أن هذا مجرد بداية.

رواية "أسياد الظل" ليست مجرد خيال، بل رحلة بين الحقيقة والأسطورة، تكشف وجوهًا خفية لعالم تحكمه أيادٍ غير مرئية، تكتب وصايا للبشرية وتخطط لمصيرها في الظل.

من ألواح جرانيتية محفورة بلغات منقرضة، إلى رسائل غامضة، ووصايا قد تغيّر فهمك للحضارة...
تغوص الرواية في عمق المؤامرة، وتحفر بأسلوبها الفلسفي أسئلة من قبيل:
من يتحكم فعليًا في مصير العالم؟